مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (٥)
الإصدار الخامس والثلاثون
(١-١١) ٢٠٢٦

تطور العلاقات الروسية– الأمريكية من الحرب الباردة إلى بداية القرن الحادي والعشرين

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

هشام حاطوم
الأستاذ الدكتور موسى إبراهيم

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ مايو ٢٠٢٦م

الملخص

يستعرض البحث تطور العلاقات الروسية–الأميركية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ٢٠٢٤، من خلال ثلاث مراحل رئيسية: –

١– مرحلة التحالف والتعاون خلال الحرب العالمية الثانية.

٢– مرحلة الصراع والتنافس خلال الحرب الباردة.

٣– مرحلة التغيرات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث شهدت العلاقات تقلبات بين التعاون والتوتر، وتدهورًا حادًا بعد أزمة أوكرانيا ٢٠١٤ وتصاعدًا كبيرًا بعد الحرب الروسية على أوكرانيا ٢٠٢٢.

ويخلص البحث إلى أن العلاقات بين القوتين تتسم بالتنافس الاستراتيجي، وأن مستقبلها يعتمد على إدارة ملفات الأمن الأوروبي، والتوسع العسكري، والاقتصاد العالمي، فضلاً عن التحولات في النظام الدولي.

Abstract

This study examines the evolution of Russian–American relations from the end of World War II until 2024, through three main stages:

Alliance and cooperation during World War II.

Conflict and rivalry during the Cold War.

Post-Soviet transformations, marked by fluctuations between cooperation and tension, culminating in a sharp deterioration after the 2014 Ukraine crisis and escalating significantly following Russia's military operation in Ukraine in 2022.

The study concludes that relations between the two powers are characterized by strategic competition,

and their future depends on managing European security issues, military expansion, global economics, and shifts in the international system.

*** المقدمة**

تُعدّ العلاقات الروسية–الأمريكية من أكثر العلاقات الدولية تعقيدًا وديناميكية، نظراً لما تمثله روسيا والولايات المتحدة من قوتين نوويتين مؤثرتين على النظام الدولي، وما يحملانه من تاريخ طويل من التنافس والعداء ثم التعاون الجزئي ثم التوتر المتصاعد. وتأتي أهمية دراسة هذه العلاقة في كونها ليست مجرد علاقة ثنائية بين دولتين، بل علاقة محورية تؤثر على الأمن الدولي، والنظام العالمي، وتوازن القوى، وتحدد مسارات السياسة الخارجية في مناطق عديدة مثل أوروبا الشرقية، الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى.

تُظهر هذه العلاقة انتقالًا تاريخيًا بين عدة مراحل: –

١– التحالف خلال الحرب العالمية الثانية (تحالف مؤقت قائم على مصلحة مشتركة).

٢– الصراع الأيديولوجي والحرب الباردة (1947–1991).

٣– مرحلة التعايش والتعاون المحدود بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (1991–1999).

٤– عودة التنافس والتوتر بعد عام ٢٠٠٠، خاصة بعد صعود بوتين وتوسع الناتو وبرنامج الدرع الصاروخية الأمريكي.

ولذلك فإن دراسة هذه العلاقة تُعد ضرورية لفهم التحولات الكبرى في النظام الدولي، ومن ثم التنبؤ بمسارات مستقبل العلاقات بين القوتين.

*** إشكالية البحث**

كيف تطورت العلاقات الروسية–الأمريكية من التحالف في الحرب العالمية الثانية إلى الحرب الباردة، ثم إلى تعاون محدود بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، ثم إلى تنافس متجدد بعد عام ٢٠٠٠؟ وما هي العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى هذا التحول؟

*** أهمية البحث**

تتجلى أهمية البحث في النقاط التالية: –

١– فهم ديناميات النظام الدولي :فالعلاقة بين روسيا والولايات المتحدة تشكل المحرك الأساسي لتوازن القوى العالمي.

٢– تحليل أسباب التوترات الحالية :حيث أن جذور التوترات في الملفات الأمنية (الناتو، الدرع الصاروخية، إيران) تعود إلى الفترة ٢٠٠٠–٢٠٠٩.

٣– استشراف المستقبل :إذ أن فهم التحولات السابقة يساعد في توقع مسارات العلاقات في العقود التالية.

٤– المساهمة في الأدبيات السياسية :من خلال تقديم تحليل تاريخي–سياسي متكامل وموسع، مع توثيق أكاديمي.

*** أهداف البحث**

١– تتبع مراحل تطور العلاقات الروسية–الأمريكية قبل عام ٢٠٠٠.

٢– تحليل التحولات بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

٣– تفسير أسباب التحول إلى تنافس جديد بعد عام ٢٠٠٠.

٤– تحديد أبرز محاور التوتر (الناتو، الدرع الصاروخية، إيران).

٥– تقديم رؤية تحليلية مستندة إلى الأدبيات الأكاديمية حتى عام ٢٠٠٩.

*** منهج البحث**

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، مع استخدام المنهج الوصفي في عرض الأحداث، والمنهج التحليلي في تفسير أسباب التحولات. كما يعتمد على تحليل وثائق رسمية، وتصريحات قيادات، وبيانات القمم، إلى جانب الدراسات الأكاديمية المنشورة في هذا المجال.

*** العلاقات الأمريكية–الروسية قبل عام ٢٠٠٠**

*** التحالف خلال الحرب العالمية الثانية ثم الحرب الباردة**

أولاً: التحالف المؤقت في الحرب العالمية الثانية

تعود بدايات التعاون الروسي–الأمريكي في القرن العشرين إلى مرحلة الحرب العالمية الثانية، حيث اتحدت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ضد المحور النازي. هذا التحالف كان قائمًا على مصلحة مشتركة وليس على تقارب أيديولوجي، إذ إن الولايات المتحدة كانت نظامًا رأسماليًا ديمقراطيًا، بينما كان الاتحاد السوفييتي نظامًا شيوعيًا. ولذلك، فقد كان التحالف مؤقتًا، وعمل كحلّ مؤقت لتجاوز تهديد مشترك (موسكو، ٢٠١٨).

تُظهر دراسة هذا التحالف أن الطرفين لم يكونا في حالة ''ثقة'' حقيقية، بل كان هناك توازن هشّ من التفاهم المؤقت. فقد أدت الأزمة الألمانية بعد الحرب إلى تصاعد التوتر، حيث رأت كل من القوتين أن أوروبا بعد الحرب يجب أن تُبنى وفق رؤيتهما السياسية، وهو ما أدى إلى انقسام أوروبا إلى معسكرين، وبدء الحرب الباردة.

ثانيًا: بداية الحرب الباردة وتشكيل نظام ثنائي القطب

بدأت الحرب الباردة تقريبًا منذ ١٩٤٧، بعد خطبة ترومان وسياسة الاحتواء التي أعلنها. وقد ساهمت عدة عوامل في تفاقم الصراع بين القوتين، من بينها: –

١– الخلاف حول مستقبل أوروبا (ألمانيا، وبولندا، ودول أوروبا الشرقية).

٢– التنافس على النفوذ في مناطق جديدة (شرق آسيا، الشرق الأوسط، أمريكا اللاتينية).

٣– السباق النووي والتسلح (الولايات المتحدة أولًا، ثم الاتحاد السوفييتي).

وقد ظهر هذا الصراع في أزمات عديدة مثل أزمة برلين (١٩٤٨–١٩٤٩)، والأزمة الكوبية (١٩٦٢)، والحرب في فيتنام، والصراع في أفغانستان، وغيرها من الصراعات بالوكالة(Gaddis, 2005).

وقد أشار هانز مورغنثاو (Morgenthau, 1948) إلى أن الصراع بين القوتين كان نتاجًا طبيعيًا لتناقض المصالح، وليس فقط صراعًا أيديولوجيًا. فالأمن والهيمنة كانا العاملين الأساسيين، وكانت الأيديولوجيا تُستخدم لتبرير السياسات.

*** تحولات ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي**

أولاً: انهيار الاتحاد السوفييتي وتأثيره على السياسة الدولية

في عام ١٩٩١، انهار الاتحاد السوفييتي، وهو ما أحدث زلزالًا في النظام الدولي. فقد أدى الانهيار إلى تفكك معسكر الشرق، وانهيار الحلف الشيوعي، وظهور الولايات المتحدة كقوة أحادية القطب .(Fukuyama, 1992) وقد

اعتبر العديد من الباحثين أن هذا التحول يمثل نهاية الحرب الباردة وبداية مرحلة جديدة من العلاقات الدولية.

من الناحية الروسية، فقد أدى الانهيار إلى فقدان جزء كبير من النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي، وظهور روسيا كدولة ضعيفة نسبيًا، تعاني من أزمة اقتصادية وسياسية واجتماعية (Sakwa, 2008) وقد أدى ذلك إلى تحول روسيا نحو سياسة إصلاح داخلي واعتماد على الغرب للحصول على الدعم الاقتصادي.

ثانيًا: مرحلة التقارب والتعاون النسبي في التسعينيات

شهدت التسعينيات مرحلة من التقارب بين روسيا والولايات المتحدة، حيث اعتبرت روسيا أن التعاون مع الغرب هو الطريق الأمثل للخروج من الأزمة الاقتصادية. وقد تجلى هذا التقارب في عدة ملفات، أهمها: –

١– اتفاقيات الحد من الأسلحة النووية

أ- اتفاقية (1991) START I بين جورج بوش الأب وميخائيل غورباتشوف، والتي هدفت إلى تقليل الترسانات النووية.

ب- اتفاق (1993) START II بين يلتسين وكلينتون، الذي كان يهدف إلى تقليل الرؤوس الحربية بشكل أكبر(NATO, 2010).

٢– التعاون في قضايا عدم الانتشار

أ- تعاون في مجال تفكيك الأسلحة النووية في دول الاتحاد السوفييتي السابق، ومساعدة روسيا في تقليص الترسانة النووية(Allison, 1995).

٣– الدعم الاقتصادي

أ- تدخل المؤسسات المالية الدولية(IMF) و World (Bank) لدعم روسيا في عمليات الإصلاح، رغم أن هذه الإصلاحات جاءت بنتائج سلبية على بعض الطبقات الاجتماعية، وأدت إلى توسع الفجوة الطبقية وارتفاع معدلات الفقر(Stiglitz, 2002).

ثالثًا: حدود التقارب وظهور الخلافات

على الرغم من التعاون النسبي، كانت هناك خلافات متزايدة، أهمها: –

١– توسع الناتو شرقًا: اعتبرت روسيا أن توسع الناتو يمثل تهديدًا مباشرًا لأمنها، وأنه يهدف إلى فرض الهيمنة الغربية على أوروبا. وقد بدأ التوسع في التسعينيات بدول أوروبا الشرقية، ثم تواصل في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين(Mearsheimer, 2014).

٢– التدخل في الشؤون الداخلية الروسية: اعتبرت بعض الدوائر الروسية أن الغرب حاول فرض نموذج ديمقراطي غربي على روسيا، وهو ما أدى إلى رفض روسي متزايد لسياسات الغرب(Sakwa, 2008) .

٣– أزمة البوسنة وكوسوفو: شهدت العلاقات توترًا في أواخر التسعينيات بسبب تدخل الناتو في يوغوسلافيا، وهو ما اعتبرته روسيا انتهاكًا لمبدأ سيادة الدول، وتهديدًا لتوازن القوى في أوروبا(Rupnik, 2003).

*** التوتر الداخلي الروسي وتأثيره على السياسة الخارجية**

شهدت روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي انقسامًا سياسيًا داخليًا شديدًا، وقد انعكس هذا الانقسام على توجهاتها

الخارجية. يمكن تقسيم المواقف الروسية إلى ثلاث تيارات رئيسية: –

١– تيار مؤيد للغرب: يرى أن روسيا يجب أن تتقارب مع الغرب، وتتبنى الإصلاحات الاقتصادية والسياسية على النمط الغربي، وتصبح جزءًا من النظام العالمي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة(Sakwa, 2008).

٢– تيار أورو– آسيوي: يرى أن روسيا يجب أن تعتمد على سياسة توازن بين الغرب والشرق، وتبني تحالفات استراتيجية مع الصين والشرق الأوسط، مع الحفاظ على علاقات مع الغرب، لكن دون تبعية(Lo, 2015).

٣– تيار قومي/شيوعي: يرى أن روسيا يجب أن تستعيد نفوذها في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وتعارض توسع الناتو، وترفض الهيمنة الغربية، وتدعو إلى بناء إمبراطورية روسية جديدة(Putin, 2007).

هذا الانقسام أدى إلى عدم استقرار السياسة الخارجية الروسية، لكنه أيضًا مهد لمرحلة جديدة من الصراع مع الغرب بعد عام ٢٠٠٠، خاصة بعد صعود بوتين الذي تبنى موقفًا أكثر صرامة واستقلالية.

*** العلاقات الروسية–الأمريكية منذ عام ٢٠٠٠ حتى ٢٠٠٩**

*** التحول في القيادة وأثره على العلاقات**

أولاً: صعود بوتين وإعادة بناء الدولة الروسية

بدأت روسيا في عام ٢٠٠٠ مرحلة جديدة مع تولي فلاديمير بوتين السلطة. وقد تميزت هذه المرحلة بعودة الدولة الروسية القوية، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، وتعزيز الأمن الداخلي، وإعادة السيطرة على الموارد الاقتصادية، وخاصة قطاع الطاقة(Sakwa, 2008).

كما اتسمت السياسة الخارجية الروسية في عهد بوتين بوضوح أكبر، حيث اعتبرت روسيا أن فترة الضعف في التسعينيات قد انتهت، وأنها ليست مجرد دولة بحاجة إلى دعم الغرب، بل قوة عظمى لها مصالح استراتيجية واضحة.

ثانيًا: سياسة الولايات المتحدة في عهد بوش الابن

في الولايات المتحدة، بدأت إدارة جورج بوش الابن (٢٠٠١–٢٠٠٩) مرحلة من السياسة الخارجية الأحادية، خصوصًا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبدأت الولايات المتحدة تتبنى مفهوم "الهيمنة الأخلاقية" أو "التفرد الأمريكي" (Ikenberry, 2002) وقد أدى هذا إلى تصاعد التوتر مع روسيا، خصوصًا في الملفات الأمنية.

كما أن إدارة بوش اتبعت سياسة توسع الناتو، وتدعيم التحالفات في أوروبا الشرقية، بالإضافة إلى دعم "الثورات الملونة" في بعض دول الاتحاد السوفييتي السابق، وهو ما اعتبرته روسيا تدخلًا في مجال نفوذها.

ثالثًا: بداية التنافس الجديد

نتج عن اختلاف الرؤى بين روسيا والولايات المتحدة في هذه المرحلة تنافس جديد، إذ إن روسيا لم تعد تقبل بدور "الشريك التابع"، بل تريد أن تُعامل كقوة كبرى، بينما الولايات المتحدة تسعى للحفاظ على تفوقها الاستراتيجي.

وقد ظهر هذا التنافس في ملفات عدة، من أبرزها: توسع الناتو، والدرع الصاروخية، والملف النووي الإيراني.

*** محاور التوتر الأساسية (٢٠٠٠–٢٠٠٩)**

أولاً: توسع الناتو شرقًا

يُعتبر توسع الناتو من أهم محاور التوتر بين روسيا والولايات المتحدة بعد ٢٠٠٠. فقد توسع الحلف ليشمل دولًا كانت جزءًا من المعسكر الشرقي، مثل دول البلطيق (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا)، بالإضافة إلى دول أوروبا الشرقية مثل بولندا، وبلغاريا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وغيرها.

ورأت روسيا في هذا التوسع تهديدًا مباشرًا لأمنها، لأن الحلف يقترب من حدودها، ويعزز وجود القوات الغربية في مناطق كانت تحت النفوذ الروسي سابقًا(Mearsheimer, 2014).

كما أن روسيا اعتبرت أن وعد الغرب بعدم توسع الناتو شرقًا كان جزءًا من اتفاقات ما بعد الحرب الباردة، وأن انتهاك هذا الوعد يمثل خرقًا للثقة، ويعني أن الغرب يسعى إلى تطويق روسيا.

وقد أدت هذه الرؤية إلى تصاعد التوتر في القمم الروسية–الأمريكية، حيث كان هذا الملف دائمًا محورًا للنقاشات.

ثانيًا: برنامج الدرع الصاروخية الأمريكي

يُعد ملف الدرع الصاروخية أحد أكثر الملفات حساسية في العلاقات الروسية–الأمريكية. فقد أعلنت الولايات المتحدة عن نيتها إنشاء نظام دفاع صاروخي لحماية حلفائها من تهديدات صواريخ من دول مثل إيران وكوريا الشمالية. وقد قدمت الولايات المتحدة هذا النظام كوسيلة دفاعية، لكن روسيا اعتبرته تهديدًا لردعها النووي.

ووفق نظرية الردع النووي، فإن توازن الردع بين القوتين يعتمد على قدرة كل منهما على إلحاق ضرر لا يمكن تحمله بالآخر. وعندما يتصور أحد الطرفين أن الطرف الآخر يمكن أن يقلل من قدرته على الرد عبر منظومة دفاعية، يتولد شعور بالتهديد، وقد يدفع ذلك إلى سباق تسلح جديد(Waltz, 1979).

ومن هنا، أصبحت مسألة الدرع الصاروخية أحد أهم أسباب التوتر، حيث اعتبرت روسيا أن هذا المشروع يخل بتوازن القوى، ويهدد أمنها الاستراتيجي.

ثالثًا: الملف النووي الإيراني

تباينت الرؤية الروسية والأمريكية بشأن البرنامج النووي الإيراني. فقد اعتبرت الولايات المتحدة أن إيران تسعى إلى تطوير سلاح نووي، وبالتالي كانت تدعو إلى فرض عقوبات دولية قوية، وإيقاف البرنامج. بينما اعتبرت روسيا أن البرنامج سلمي حتى الآن، وأن الحل يجب أن يكون عبر المفاوضات والتعاون الدولي.

كما أن روسيا كانت شريكًا لإيران في مجال الطاقة النووية المدنية، وقدمت لها تقنيات ومساعدات، وهو ما جعل الولايات المتحدة تشتبه في نوايا روسيا، وتُحملها جزءًا من المسؤولية في استمرار البرنامج الإيراني(Pillar, 2012).

وقد أدى هذا التباين إلى توتر العلاقات، حيث كانت الولايات المتحدة ترى أن روسيا تعرقل جهود العقوبات، بينما كانت روسيا ترى أن الولايات المتحدة تسعى لفرض إرادتها على طهران.

*** مؤشرات التعاون رغم التوتر**

على الرغم من التوتر المتصاعد، إلا أن العلاقات الروسية–الأمريكية لم تكن صراعًا مطلقًا، بل شهدت أيضًا مسارات تعاون محدودة، وذلك لعدة أسباب، من بينها: ضرورة الحفاظ على الاستقرار الاستراتيجي، ومواجهة الإرهاب، ومكافحة الانتشار النووي، وضرورة التعاون في ملفات الطاقة والأمن.

أولاً: إعلان موسكو للعلاقات الاستراتيجية الجديدة (٢٠٠٢)

في عام ٢٠٠٢، أصدرت روسيا والولايات المتحدة "إعلان موسكو للعلاقات الاستراتيجية الجديدة"، والذي أكد على الرغبة في بناء علاقات قائمة على الاحترام المتبادل، وتجنب الصراع، والتعاون في قضايا الأمن. وقد اعتبر هذا الإعلان مؤشرًا على أن الطرفين يدركان أهمية استمرار الحوار، رغم الخلافات.

ثانيًا: التعاون في قضايا مكافحة الإرهاب

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تزايد التعاون بين روسيا والولايات المتحدة في مجال مكافحة الإرهاب، خصوصًا في أفغانستان. فقد دعمت روسيا الجهود الأمريكية ضد تنظيم القاعدة، وأبدت تعاونًا في مجال المعلومات الاستخباراتية، كما أن روسيا كانت تعاني من تهديدات إرهابية داخلية، مما جعلها ترى في التعاون مع الولايات المتحدة مصلحة مشتركة(Cohen, 2006).

ثالثًا: التعاون في الحد من الأسلحة النووية

استمر التعاون في مجال الحد من الأسلحة النووية، حيث وقعت روسيا والولايات المتحدة اتفاقيات جديدة لتقليص الترسانات، مثل اتفاقية START الجديدة التي تم التفاوض حولها في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين (Arms Control Association, 2010). وقد مثل هذا التعاون مؤشرًا على أن الطرفين يدركان ضرورة الحفاظ على التوازن الاستراتيجي، وعدم الدخول في سباق تسلح لا جدوى منه.

رابعًا: بداية عهد أوباما وإشارات جديدة للتعاون (٢٠٠٩)

مع وصول باراك أوباما إلى السلطة في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٩، ظهرت إشارات جديدة لإعادة إطلاق العلاقات. فقد التقى أوباما مع الرئيس الروسي ديمتري مدفيديف، وجرى تبادل بيانات حول تقليص الأسلحة الاستراتيجية، وتحسين التعاون في مجالات متعددة. وقد اعتبرت هذه الخطوة محاولة لتخفيف التوتر، وإعادة بناء الثقة بعد فترة من التدهور..

*** العلاقات الروسية–الأمريكية بعد عام ٢٠٠٩ (٢٠١٠–٢٠٢٤)**

*** إدارة أوباما (٢٠٠٩–٢٠١٦) وسياسة "إعادة الضبط" (Reset)**

مع وصول باراك أوباما إلى السلطة في عام ٢٠٠٩، ظهرت محاولة لإعادة تهيئة العلاقات الروسية–الأمريكية بعد فترة توتر في عهد جورج بوش الابن. سميت هذه السياسة بـ "إعادة الضبط" (Reset) التي كانت تهدف إلى: –

١– تقليص التوتر الاستراتيجي،

٢– بناء تعاون في مجال عدم الانتشار النووي،

٣– مكافحة الإرهاب،

٤- حل النزاعات الإقليمية بالتنسيق.

وكان أبرز إنجازات هذه المرحلة توقيع معاهدة "ستارت الجديد" (New START) في عام ٢٠١٠، التي حدّت من الترسانات النووية الاستراتيجية، وعكست رغبة الطرفين في تجنب سباق تسلح جديد (الحموي، ٢٠١٥).

كما شهدت هذه المرحلة تعاونًا محدودًا في ملفات مثل الملف النووي الإيراني والأزمة السورية، إذ حاولت روسيا والولايات المتحدة الحفاظ على مساحة من الحوار رغم الاختلافات.

ومع ذلك، بقيت خلافات جوهرية تُعيق بناء شراكة حقيقية، أهمها: -

١- توسع حلف الناتو نحو الشرق (أوكرانيا وجورجيا)،

٢- تباين الرؤى بشأن سوريا،

٣- الخلافات حول حقوق الإنسان والديمقراطية في روسيا.

وهكذا، فإن "إعادة الضبط" لم تُفضِ إلى تحوّل جذري في طبيعة العلاقات، بل كانت مرحلة تهدئة مؤقتة ضمن إطار تنافس طويل.

*** أزمة أوكرانيا ٢٠١٤ وضم القرم وتأثيرها على العلاقات**

شكلت أزمة أوكرانيا في ٢٠١٤ نقطة تحول حاسمة في العلاقات الروسية–الأمريكية. إذ أدت إلى: -

١- تدهور العلاقات السياسية،

٢- فرض عقوبات اقتصادية أمريكية وأوروبية على روسيا،

٣- تجميد التعاون الأمني والعسكري بين الطرفين،

٤- توسع دائرة التوتر إلى أوروبا الشرقية.

ومن منظور روسيا، كانت الأزمة نتيجة توسع الناتو في مناطق النفوذ التقليدي الروسي، ومحاولة الغرب فرض معادلات جيوسياسية جديدة على حدود روسيا. أما الولايات المتحدة فاعتبرت ضم القرم انتهاكًا للقانون الدولي وتهديدًا للاستقرار الأوروبي (حسيني، ٢٠١٧).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأزمة أدت إلى عودة العلاقات إلى مرحلة الصراع المفتوح بعد فترة قصيرة من التهدئة، ووضعت روسيا والولايات المتحدة في مواجهة مباشرة في مناطق النفوذ الأوروبية.

*** سوريا والتنافس على النفوذ (٢٠١٥–٢٠١٩)**

دخلت روسيا عسكريًا إلى سوريا عام ٢٠١٥، لدعم النظام السوري، ما أعاد موسكو إلى خريطة الشرق الأوسط بقوة، وسمح لها بتوسيع نفوذها في البحر المتوسط، بينما كانت الولايات المتحدة تدعم فصائل المعارضة وتعمل على مواجهة تنظيم "داعش".

وقد أدت التدخلات المتضادة إلى: -

١- تصاعد التوتر بين واشنطن وموسكو،

٢- تعقيد مسارات الحل السياسي في سوريا،

٣- خلق مناطق نفوذ متقاطعة (شرق الفرات، إدلب، الساحل السوري).

لكن رغم ذلك، لم تتحول سوريا إلى حرب مباشرة بين القوتين، لأن كلاً منهما كان يتجنب التصادم المباشر، ويفضل "التنافس ضمن قواعد محددة" (سيف الدين، ٢٠١٦).

*** إدارة ترامب (٢٠١٧–٢٠٢٠) واتهامات التدخل الروسي**

مع انتخاب دونالد ترامب في ٢٠١٧، شهدت العلاقات تحولًا جديدًا، إذ تميزت بتناقضات حادة بين: –

١– محاولات ترامب لتحسين العلاقات مع موسكو،

٢– والضغط الداخلي الأمريكي ضد روسيا بسبب اتهامات التدخل في الانتخابات الأمريكية ٢٠١٦،

٣– وفرض عقوبات جديدة على موسكو.

كما شهدت هذه المرحلة قمة هلسنكي (٢٠١٨) التي اعتُبرت محطة مهمة، لكنها أثارت جدلاً داخل الولايات المتحدة بسبب تصريحات ترامب التي اعتُبرت متساهلة تجاه روسيا (موسى، ٢٠١٩).

وبالرغم من الرغبة الظاهرة في تحسين العلاقات، فإن الخلافات الاستراتيجية في ملفات مثل: سوريا، أوكرانيا، إيران، حقوق الإنسان، استمرت في إضعاف فرص تحقيق شراكة حقيقية.

*** إدارة بايدن (٢٠٢١–٢٠٢٤) وتصاعد الصراع بعد ٢٠٢٢**

مع وصول جو بايدن إلى الرئاسة، حاولت الولايات المتحدة استعادة قواعد ''التعاون المحدود'' في ملفات مثل عدم الانتشار ومكافحة الإرهاب، لكن التوتر عاد بقوة بسبب تطورات جديدة:

أولاً: الأزمة الأوكرانية ٢٠٢٢ وبدء الحرب

في عام ٢٠٢٢، شنت روسيا عملية عسكرية واسعة على أوكرانيا، ما أدى إلى: –

١– توسيع العقوبات الأمريكية والأوروبية على روسيا بشكل غير مسبوق،

٢– تحويل العلاقات إلى مواجهة استراتيجية شاملة،

٣– دفع روسيا إلى التقارب مع الصين وتوسيع التعاون الاقتصادي العسكري مع دول أخرى (القيسي، ٢٠١٩).

ثانيًا: الاستقطاب الدولي وتشكّل تحالفات جديدة

أدت الأزمة إلى: –

١– انقسام دولي واضح بين معسكر غربي داعم لأوكرانيا، ومعسكر آخر يميل إلى الحياد أو يدعم روسيا.

٢– تعزيز روسيا لعلاقاتها مع الصين والهند والدول النفطية، وتوسيع دورها في الأسواق العالمية (الحموي، ٢٠٢٢).

ثالثًا: الأبعاد الاقتصادية والأمنية

شهدت العلاقات: –

١– حربًا اقتصادية عبر العقوبات،

٢– صراعًا على أسواق الطاقة والغاز،

٣– تنافسًا في سلاسل الإمداد العالمية.

وأصبحت العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا في هذه المرحلة أكثر توترًا من أي وقت منذ الحرب الباردة، مع استمرار ''التعاون المحدود'' في مجالات مثل الفضاء والحد من الأسلحة الاستراتيجية، لكن ضمن إطار منافسة شديدة.

*** الخاتمة**

إن العلاقات الروسية–الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى ٢٠٢٤ تتسم بالتقلب والتناوب بين مراحل التعاون والتنافس والصراع . وقد مرّت العلاقات بمراحل: –

١– تحالف خلال الحرب العالمية الثانية،

٢- صراع خلال الحرب الباردة،

٣- تعاون مؤقت في التسعينيات،

٤- تدهور تدريجي منذ ٢٠٠٠،

٥- تصعيد حاد بعد ٢٠١٤،

٦- تحول إلى مواجهة شاملة بعد ٢٠٢٢.

وتشير المتغيرات إلى أن العلاقات بين القوتين ليست مجرد علاقة ثنائية، بل هي محور تنافس عالمي، تُحدد طبيعتها:-

١- موازين القوة الدولية،

٢- توسع الناتو،

٣- برامج التسليح،

٤- الملفات الإقليمية (أوكرانيا، سوريا، إيران)،

٥- التحولات في النظام الدولي (أحادي القطب مقابل متعدد الأقطاب).

وبذلك، فإن مستقبل العلاقات الروسية–الأمريكية سيبقى مرتبطًا بمدى قدرة الطرفين على إدارة الصراع عبر: -

١- التفاوض،

٢- ضبط التصعيد،

٣- التفاهم على قواعد التعايش، أو قد يتجه إلى مزيد من التصعيد إذا استمر التنافس على النفوذ والهيمنة.

*** المراجع**

اولاً– المراجع العربية

الحموي، ع. (٢٠١٥). السياسة الخارجية الروسية في عهد فلاديمير بوتين: قراءة في التحولات والأهداف .دار الفكر العربي.

جبر، م. (٢٠١٨). العلاقات الروسية الأمريكية: من إعادة الضبط إلى المواجهة .مجلة دراسات دولية، ١٢(٣)، ٤٥-٧٢.

حسيني، ر. (٢٠١٧). أزمة أوكرانيا وتأثيرها على الأمن الأوروبي .المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

سيف الدين، ع. (٢٠١٦). الأزمة السورية: التدخلات الدولية وتوازن القوى .دار الثقافة للنشر.

القيسي، أ. (٢٠١٩). العلاقات الروسية الأمريكية بعد ٢٠١٤: الأبعاد والتداعيات .مجلة السياسة الدولية، ٨(٢)، ٢٣-٤٩.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. (٢٠١٤). التحولات في العلاقات الروسية–الأمريكية بعد أزمة أوكرانيا.

ناصر، ف. (٢٠٢٠). السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب: قراءة في التوترات مع روسيا .دار النهضة العربية.

موسى، م. (٢٠١٩). قمة هلسنكي ٢٠١٨ وأثرها على العلاقات الدولية .مجلة العلاقات الدولية، ٦(١)، ٨٨-١١٠.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Allison, G. (1995). Nuclear Terrorism: The Ultimate Preventable Catastrophe. Times Books.

Arms Control Association. (2010). The New START Treaty. Retrieved from https://www.armscontrol.org

Cohen, S. F. (2006). Russia: What Everyone Needs to Know. Oxford University Press.

Fukuyama, F. (1992). The End of History and the Last Man. Free Press.

Gaddis, J. L. (2005). The Cold War: A New History. Penguin Press.

Ikenberry, G. J. (2002). America Unrivaled: The Future of the Balance of Power. Cornell University Press.

Lo, B. (2015). Russia and the New World Disorder. Brookings Institution Press.

Mearsheimer, J. J. (2014). The Tragedy of Great Power Politics (2nd ed.). W. W. Norton & Company.

Morgenthau, H. J. (1948). Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace. Knopf.

NATO. (2010). NATO-Russia Relations. Retrieved from https://www.nato.int

Pillar, P. R. (2012). Intelligence and U.S. Foreign Policy: Iraq, 9/11, and Misguided Reform. Columbia University Press.

Putin, V. (2007). Speech at the Munich Conference on Security Policy. Munich.

Rupnik, J. (2003). The West and the Balkans: The Road to Stabilization. European Union Institute for Security Studies.

Sakwa, R. (2008). Russian Politics and Society (3rd ed.). Routledge.

Stiglitz, J. E. (2002). Globalization and Its Discontents. W. W. Norton & Company.

Waltz, K. N. (1979). Theory of International Politics. Addison-Wesley.